

## البُعد الفكري في تراث الإمام العسكري عليه السلام

تميّزت الإمامية (أعلى الله كلمتهم) عن سائر الفرق الإسلامية بل وحتى الأديان الأخرى، بعنايتهم العظيمة بتراث أئمتهم عليهم السلام، حيث تجلّى ذلك في حفظه وتناقله ومدارسه، تحليلاً وتوضيحاً واستنتاجاً، مما أثرى ولا يزال يثرى المكتبة الشيعية بتراثٍ فكريٍّ كبيرٍ وزاخرٍ على امتداد الأعوام والقرون.

ومن هنا، من المناسب أن نتأمل في أحد محاور هذا التراث، وهو البُعد الفكري في تراث الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام، حيث نظّم عليه السلام معالم فكرية مهمة تُعدّ من الركائز الأساسية في البناء الفكري والعقدي للمدرسة الإمامية. وفيما يلي نعرض أبرز تلك المعالم باختصار، آمليّن بذلك التوفيق والسداد.

### أولاً: مواجهته للتيارات المنحرفة:

من أبرز صور تطوير الفكر الإمامي من قبل الإمام العسكري عليه السلام، تصديّه الحاسم للتيارات الفكرية والعقدية المنحرفة، كالغلاة، والملحدّين، والصوفية، والثنوية، وغيرهم من أصحاب المقالات الباطلة. وقد تنوّعت أساليب الإمام عليه السلام في هذا المجال، إلا أن من أهمّها ما يُعرف في عصرنا بـ«البيانات»، وهي كتب ورسائل أصدرها الإمام عليه السلام في مناسبات متعددة،

تصدّى من خلالها لهذه الانحرافات، فقلّص نفوذهم، واجتث جذورهم، وبيّن انحراف مساراتهم.

وكانت تلك البيانات تنوّع بحسب خطورة الانحراف وطبيعة التيار؛ فتارةً يبيّن، وأخرى يُفند، وثالثة يُهدّد. ومن جملة تلك البيانات:

١. ما كتبه عليه السلام لأحد أصحابه، وقد وقف على موسى بن جعفر عليهما السلام متسائلاً: «أتولاهم أم أتبرأ منهم؟» فكتب الإمام عليه السلام: «...أنا إلى الله منهم بريء، فلا تتولاهم، ولا تعد مرضاهم، ولا تشهد جنازتهم، ولا تصلّ على أحدٍ منهم مات أبداً، سواء من جحد إماماً من الله أو زاد إماماً ليست إمامته من الله...».

٢. ما ورد في جوابه عليه السلام لكامل بن إبراهيم، لما سأله عن المفوضة، فقال له عليه السلام: «جئت تسأل عن مقالة المفوضة؟ كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشية الله، فإذا شاء الله شئنا، والله يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾».

٣. ما كتبه عليه السلام إلى بعض مواليه رسالةً شديدة اللهجة، تضمّنت تهديداً لهم لتورّطهم في ظاهرة الغلو، قال فيها: «فقد بلغني ما أتم عليه من اختلاف قلوبكم، وتشيت أهوائكم، ونزغ الشيطان، حتى أحدث لكم الفرقة والإلحاد في الدين، والسعي في هدم ما مضى عليه أوائلكم من إشادة دين الله، وإثبات حق أوليائه، وأمالككم إلى سبيل الضلالة، وصدّ بكم عن قصد الحق،

فرجع أكثركم القهقري على أعقابكم، تنكصون كأنكم لم تقرؤوا كتاب الله جلّ وعزّ، ولم تعوا شيئاً من أمره ونهيه وألعمري لئن كان الأمر في اتكال سفهائكم على أساطيركم لأنفسهم وتأليفهم روايات الزور بينهم لقد حقت كلمة العذاب عليهم ولئن رضيتم بذلك منهم ولم تنكروه بأيديكم وألسنتكم وقلوبكم ونياتكم، إنكم شركاء وهم، في ما اجترحوه من الافتراء على الله تعالى وعلى رسوله وعلى ولاة الأمر من بعده...».

### ثانياً: تفسير القرآن الكريم:

ومن الروافد المهمة في دعم الفكر الإمامي ما قام به الإمام العسكري عليه السلام من تفسير آيات الكتاب العزيز، وبيانٍ لمحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه.

وقد نُسب إليه تفسيرٌ يتضمّن عدداً غير قليل من الأخبار الشريفة التي أوضح فيها الآيات، وصحّح المفاهيم، وركّز على المعاني العميقة وربط بين الآيات والعقيدة، ممّا شكّل منظومة تفسيرية ذات بعد عقدي ومعرفي أصيل، كان لها بالغ الأثر في تكوين فهم القرآن لدى أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

### ثالثاً: ترسيخ العقيدة الصحيحة:

ومن جملة الأساليب التي انتهجها الإمام العسكري عليه السلام في بناء الفكر الشيعي وترسيخه، تأكيده على العقيدة



## البعد الفكري

في تراث الإمام العسكري عليه السلام

الشيخ محمد باقر الأسدي

والتصدّي للمشكلات العامة والخاصة.  
وبذلك، مهّد الإمام عليه السلام لمرحلة الغيبة الكبرى  
لولده الامام الحجة المنتظر عليه السلام دون أن يعرّض المجتمع  
الشيوعي لانهار أو ضياع قد يندرسوا فيه، بل هيأهم  
لأن يعيشوا الغيبة بتكليف شرعي واضح وصحيح،  
يتواصلون فيه مع المرجعية التي أسس لها والتي تضم  
العدول من الفقهاء، بوصفهم حفظة الشرع وخلفاء  
الإمام في زمن غيبته فنستطيع أن نعبر عن هذا الانجاز  
بالانجاز العظيم لمصلحة الشيعة بصورة استراتيجية.  
فأصبح تراث الإمام العسكري عليه السلام تراثاً ثرياً بالتناج  
الفكري والعقدي، والسياسي والاجتماعي والاقتصادي  
ليكون جزءاً رئيسياً من المنظومة المعرفية والفكرية التي لا  
زال الشيعة الإمامية يستنيرون بها في حاضرهم، وتستمدّ  
منها الثبات والعزم في مواجهة التحديات المختلفة حتى  
ظهور إمامهم فيحقق العدل الإلهي الموعوداً فيملاً الأرض  
قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.



www.darhikma.net

الصحيحة في نفوس المؤمنين، ودفعه الشبهات التي أثارها  
المعرضون، إمّا في إطار الطعن بالدين عامة، أو التشكيك في  
عقيدة الإمامة والولاية خاصة.

وكان ما قام به عليه السلام بمثابة ثورة فكرية عظيمة  
أثمرت تقوية البنية العقدية لأتباعه، وتأمين التحصين  
الفكري الكافي لعوام الشيعة وخاصّتهم، وقد أصابت  
هذه الثورة القلوب المنحرفة بالقلق والشك، فقلّ  
تأثيرهم، وانهمزت شبهاتهم أمام البناء العقدي المتين  
الذي أرساه الإمام عليه السلام في نفوس شيعته ومحبيه.

### رابعاً: التمهيد للغيبة:

ويعدّ التمهيد لغيبة الإمام المهدي عليه السلام من أهم وأبرز  
معالم البعد الفكري في تراث الإمام العسكري عليه السلام، إذ  
كان عليه السلام على بينة من خطورة المرحلة المقبلة، ومدى  
الحاجة إلى إعداد الأمة فكرياً وروحياً لتحمل غياب  
الإمام المعصوم عن المشهد الظاهري.

ولذا، فقد أسس الإمام عليه السلام لواقع مؤسّساتي متين،  
شكّل شبكة من الوكلاء والخواص، لتكون حلقة  
الوصل بين الإمام الغائب عليه السلام وبين القاعدة الشعبية  
من الشيعة. وكانت مهام هذه الشبكة: إيصال الأسئلة،  
نقل الأجوبة، إدارة الحقوق الشرعية من خمس وزكاة  
وأوقاف ووصايا وغيرها، توجيه الناس سياسياً وفكرياً،